

واجب أغنيائنا

حيال المشروعات العامة

المصريون بفطرتهم وعاداتهم وتقاليدهم أسخياء، ينفقون بل أحيانا يسرفون في الاحتفالات والضيافة حتى لقد بلغ هذا الاسراف حدا استدعى التنبيه من الكتاب إلى ضرورة الاقلال من نفقات الاحتفال بالزواج أو الوفاة أو الاستقبال أو التوديع أو غير ذلك ، كما أننا نسخر أيضا بالاحسان ولكن في غير نظام أو بلا مراعاة للتناسب . فاذا حان العيد توالت على الفقراء هدايا الكعك أو الخبز من حملة بيوت حتى لا يدرون ما يفعلون بهذا الطعام الفائض عن حاجتهم والذي لا يمكن ادخاره للمستقبل . وقد يتخذ هذا الاحسان صورة هي الفوضى بعينها حين يخرج أعضاء الأسرة إلى الجبانات مع أطعمة مختلفة يوزعونها على الفقراء الذين احترقوا الفقر واستغلوا هذه المواسم يحضرون في مواعيدها لكي يتسلموا ما قضت به العادات والتقاليد . مع أن النأمل القليل يجعلنا ندرك أن المحتاج الذي يستحق الصدقة والمعونة لا يفكر في الخروج إلى الجبانات لكي يتكفف ، إذ له من الحياء ما يجعله على الانزواء في عقر داره . ولكن سيجية الاحسان التي يمتاز بها الشعب المصري محمله على التصديق جزافا . وما يحتاج إليه إذن هو التنظيم والتوجيه . وهذا هو ما سوف تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية التي أنشأت صندوق الاحسان في عيد الفطر الماضي ، فكان له أحسن الأثر .

ولأغنيائنا من الأريحية البارة ما يجعل الكثير منهم في الريف والمدن يؤسسون المساجد ولكن حتى هنا لا نجد النظام والتدبير المنظم . فقد نجد القرية الصغيرة تحوى ثلاثة أو أربعة من المساجد الصغيرة أسسها جميعها المؤسسون دون أن ينظروا إلى تكاليف الصيانة والأمانة ولذلك سرعان ما يهمل بعض هذه المساجد . مع أنهم لو كانوا قد تكانفوا وأشأوا مسجدا واحدا أو مسجدين لاستطاعوا أن ينفقوا عليه أو عليهما المبالغ التي وزعت في الثلاثة أو الأربعة . وعندئذ يكون تجويد البناء والرحابة والقدرة على الصيانة . وفي قرانا كثير من المساجد المهتمة التي يرجع إهمالها إلى أن الذين أقاموها لم ييصروا بالمستقبل .

ثم هذه الأريحية البارة أيضا قد تنحصر ثمراتها في إقامة المساجد دون المدارس أو المستشفيات أو الملاجئ لأن المحسن يكره هذه المؤسسات بل لأنه لا يقدرها بما تستحق ،

ففى قرانا يتفشى الرمد ويؤدى الى العمى بين كثير من الأطفال الذين يحرمون النور وتجذع حياتهم . ومع أن الحكومة تقوم بمجهود كبير لمكافحة هذا الداء فان هذا المجهود كان يكون أنجع فى مكافحة لو أن أغنياءنا عنوا أيضا بإنشاء المستوصفات والمستشفيات فى القرى . وقد شرع بعض الأغنياء فى إنشاء المدارس لمحو الأمية ولكن النسبة المئوية للآميين فى بلادنا تدل على أن هذه المدارس لا تزال قطرة فى بحر مما يجب أن يكون .

وقل أن نسمع أن ثريا مصريا أوصى بإنشاء مكتبة عامة أو ملجأ لليتامى أو ناد للحرومين ، ولذلك يمكن أن يقال إننا اذا استثنينا عاطفة البر السامية فى إنشاء المساجد وتوفيرها فى المدن والقرى لا تزال ميادين البر الأخرى دون المستوى الذى تحتاج اليه البلاد .

فلننظر مثلا إلى حاجتنا الحربية فى الوقت الحاضر . فانا منذ أشهر ونحن قائمون بتجهيز البلاد بجيش قوى يستطيع الدفاع عنها . وقد كانت هذه الأشهر الماضية عمودية قلقه نجشى أن نستبك فيها فى حرب عاتية . ومع ذلك لم يفكر أحد الأثرياء فى أن يتبرع ببعض أمواله لمعاونة الحكومة فى هذا الدفاع . لا لأن الأريحية تعوزنا ، بل لأننا نجهل أماليب البر ونفرعها وتعدد المطالب المدنية . ولا عبرة بأن يقال إن الحكومة هى وحدها التى تطالب بالانفاق على وسائل الدفاع . فانه حتى مع صحة هذا القول يبقى على الأثرياء واجب المعونة . كما نرى مثلا فى التعليم فانا ننشئ المدارس ونبترع لها ونجس عليها المقاررات المغلة مع أننا نعرف أن الحكومة مطالبة بتعليم الأمة . واذا كان فى الأمة من الشباب من يتطوع بدمه فى الدفاع فانه يجب أن يكون بين الأثرياء من يتبرع بماله لهذه الغاية الشريفة أيضا .

ونحن حين نطالبهم بهذا الواجب لا نشذ عما يجرى فى الأقطار المتقدمة . ففى الحرب الماضية مثلا حين كانت الحكومة البريطانية تمعد القروض لكى تنفق على الحرب تقدم لها "فاعل خير" لم يذكر اسمه بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه . وقد عرف بعد عقد الصلح بسنوات أن هذا المتبرع الكريم هو المستر بولدوين الذى صار بعد ذلك رئيسا للوزارة . وفى هذه الحرب رأينا اللورد نوفيلد يتقدم بالاقتراح على صفحات الجرائد بأنه مستعد لأن يتبرع لجمعية الصليب الأحمر بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه إذا كان الجمهور يجمع مثل هذا المبلغ . وهذا برودعوة إلى البر . كما تبرع ثرى آخر بمبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه للترفيه عن الجنود الانجليز فى الميدان الغربى .

وقد ضربنا المثل عن التبرع للحرب لأنه أبعد ألوان البر عن أذهاننا . وهناك بالطبع ألوان أخرى تسترعى التفاتنا ويحدر بأثريائنا أن يقتدوا فيها بالأثرياء الأوربيين والأمريكيين . فهذا اللورد نوفيلد الذى ذكرنا تبرعه لجمعية الصليب الأحمر قد بلغت تبرعاته إلى الآن لمختلف شؤون الخير فى بريطانيا نحو ١٥ مليون جنيه . وهذا مبلغ ضخم يزيد على ميزانية دولة صغيرة . وقد وزع هذا المبلغ على المستشفيات والمدارس والمكاتب والمصحات والبحارة والعمال الخ .

وأمریکا هي مغرب الأمثال في البر الذي يقوم به الأثرياء . فان كارنجي الذي جمع الملايين قد أنفق أيضا الملايين على إنشاء المكتبات لا في الولايات المتحدة وحدها بل أيضا في اسكتلاند مسقط رأسه . وجميع هذه المكتبات قد اشترى لها الأرض وشيد بناءها وجعلها بمئات الألوف من المجلدات وحبس عليها الأوقاف المغاية للصيانة والإدارة والتجديد . وهي تزود جميع الثراء بنور الثقافة العصرية وتشفل فراغهم بما يرقهم . وكل هذا بالمجان .

وهذا أيضا روكفيلر الذي مات منذ سنوات قريبة . فانه أنشأ "معهد روكفيلر" وهو معهد فريد مبتكر يقوم بالبحوث العلمية في نحو ثلاثين علما مختلفا من درس الآثار القديمة في مصر والهند وغيرهما إلى درس الجغرافية والوراثة والاقتصاديات وما إلى ذلك . وله بعوث في جميع أقطار العالم تقريبا . وبعثته التي تبحث شؤون القرية في مصر تقوم بأبر الأعمال وأجداها لصيانة الصحة العامة بين القرويين .

وهناك مثال مشهور هو نوبل مخترع الديناميت الذي أوصى ببنائات مالية جسيمة تمنح لمن يخدمون العلوم في أقطار العالم المختلفة . ولم ينس — وهو مخترع الديناميت للحرب — أن يخص إحدى هذه الجوائز لمن يخدم السلم . بل هنا مثال قريب منا هو المسيو أفيروف الثرى اليوناني الذي أهدى إلى حكومته طرادا تعززه قوتها البحرية . وقبل أسابيع ذكرت الصحف أن ثرية يونانية توفيت في مارسيليا أوصت بخمسين ألف جنيه تنفق على ترفية الجالية اليونانية بالاسكندرية .

ولسنا نطالب أغنياءنا بأن ينفقوا الألوف والملايين في البر . ولكن لينفق كل ذي سعة من سعة وعلى قدر طاقته . وليس يشترط في البر أن يكون مشروعات ضخمة .

فهناك المستوصف الصغير الذي يحضره طبيب ساعة أو ساعتين في اليوم فيعالج المريض الخارجى ويقدم له الدواء بالمجان . فان الجمعية الخيرية الصغيرة تستطيع أن تقوم بهذه الخدمة البارة بأقل التكاليف في المدن ، كما يستطيع الغنى أن يقوم بمثل هذا الواجب في قريته حيث يصعب عليه الحصول على استشارة طبية أو يشق عليه شراء الدواء . كما يمكن أغنياءنا أن يجمعوا بعض أموالهم لتشجيع المؤلفين بايجاد جوائز تمنحها الجامعة للمؤلفين المبرزين المتخصصين أو الشعبيين في الفنون والعلوم . فان مثل هذه الجوائز تحت على التأليف والمثابة في هذا العمل المضنى الذى لا يلقى التشجيع الكافى من الجمهور . وبلادنا تحتاج الى العشرات من البحوث العلمية في الصحة والزراعة والتعدين والصناعة . ويجاد مؤسسة صغيرة يعمل فيها اثنان أو ثلاثة أو أكثر لخدمة احد هذه البحوث يعود بفوائد لا تقدر لوطننا .